جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد: 5 السنة: 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

أبعاد المعايير النصية في التشكّل الأسلوبي

The dimensions of textual criteria in stylistic formation

عبد الرؤوف عباس[1]
abbas-abderraouf@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/17 تاريخ القبول: 2024/04/19 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 17/02/2024 Accepted: 19/04/2024 published: 15/09/2024

الملخص:

النظر إلى النص باعتباره علامة لغوية ذات استقلالية جعل منه موضوعا للدراسة ووحدة للتواصل، حيث اصطلح على النشاط العلمي في علوم النص (تحليل الخطاب) أو(التداوليات) أو (نحو النص)، وعلم النص ينفتح على حقول وتخصصات علمية كثيرة، ولا يلتزم بإطار نظري واحد بعكس اللسانيات البنوية، في هذا السياق اتسع إطار دائرة الأسلوب ليلقي بظلاله على معايير النصية التي تناولتها نظرية علم النص، فتسعى هذه الورقة البحثية لدراسة بعض هذه المعايير من حيث ارتباطها بموضوع الأسلوب، وهي معيار الإعلامية (informativity) والمقبولية (acceptability) بالخصوص، كمحددات أو مباحث أسلوبية يمكن أن تبرز موضوع الأسلوب في شكل جديد.

سيتناول هذا المقال موضوع الأسلوب منذ الدرس العربي القديم إلى الدرس اللساني الحديث، ثم تمحوره ضمن المعايير اللسانية النصية، حيث زادت من اتساع دائرته وشموله، لذا يحاول تلمس أبعاد المعايير النصية في التشكل الأسلوبي، والهدف هو البحث عما يمكن أن يقدمه النموذج النصي من إضافة في تأسيس الأسلوب.

كلمات مفتاحية: علم النص؛ الخطاب؛ الإعلامية؛ المقبولية؛ الأسلوب.

Abstract:

Viewing the text as a subject for study and a unit of communication reveals its value as an autonomous linguistic sign. The scientific activity in text sciences encompasses discourse analysis, pragmatics, or text grammar. Text science opens up many scientific fields and specialisations and is not confined to a single theoretical framework, unlike structural linguistics.

In this context, the scope of stylistics has expanded, casting its influence on the textuality criteria discussed in text science theory. This research paper aims to study some of these criteria in relation to the subject of style, specifically informativity and acceptability as stylistic determinants or issues that can highlight the subject of style in a new form. The goal is to investigate what the textual model can offer in establishing style).

Keywords: Text Linguistics; discourse; informativity; acceptability; style.

[1] – مخبر التداوليات وتحليل الخطاب جامعة الوادي (الجزائر)

1- مقدمة:

بدأ البحث النصي يبرز بشكل واضح حين أصدر "هاريس"مقال (تحليل الخطاب)، وألّف: "تون فان دايك" مثل some aspects of text grammars"، كذلك ما قدمه "هاليداي" و"رقية حسن" وتُرجم إلى: (الاتساق في الانجليزية)، ومؤلّف "دي بوجراند": (النص والخطاب والإجراء)، وغيرها مما له الأثر البالغ في التأسيس لهذا العلم.

كما تساير تحليل الخطاب أو النص مع بروز منهج تحليل المضمون خلال فترة الحرب العالمية الثانية، والذي كان يسعى الباحثون من ورائه إلى معرفة الانتماءات الأيديولوجية، وتحليل النفس البشرية، واجتمعت هذه المناهج لتؤصل لنظرية التواصل التي أسهمت في نشأة الدراسات النصية والأسلوبية، وتوسع التواصل من ضيق النظرية إلى فلسفة عامة تأخذ بزمام اتجاهات التفكير اللساني، لتعكس اللسانيات هذه الفكرة أو الصورة من خلال دورة التخاطب حين جعلت من كل كلام يحمل علامة المتكلم به، فكان لكل نص سِمَة صاحبه، وهذه السِمة أو العلامة تسمى أحكام التلفظ، وهي علاقة اجتماعية لأنّ كل تلفظ هو سلوك مقصود كما يرى "سيرل".

وهذه المواضعة تمثل أحد أهداف تحليل الخطاب الأساسية، فهو منهج يسعى لرصد السِمات اللغوية للمتخاطبين من خلال رصد درجة حضور المتكلم، وفي هذا المنوال النصي يبرز حضور البحث الأسلوبي، فماهي المحددات أو المباحث الأسلوبية التي أطرت الأسلوب ضمن نظرية علم النص؟

تأتي الإجابة عن هذا الإشكال ضمن مبحثين أساسين:

ـ المبحث الأول: البحث الأسلوبي، ويتطرق لعرض مباحث الأسلوب في الدراسات منذ الدرس البلاغي العربي

ـ المبحث الثاني: المباحث الأسلوبية ضمن معايير علم النص.

والمنهج الملائم لمعالجة هذا الموضوع هو المنهج الوصفي، والهدف هو البحث عما يمكن أن يقدمه النموذج النصي من إضافة في تأسيس الأسلوب، والوقوف على أوجه المقاربة بين مباحث اتجاهين لسانيين.

2. البحث الأسلوبي في الدرس اللغوي العربي:

1.2 الأسلوب في اللغة والاصطلاح:

1.1.2. الأسلوب في اللغة:

كلمة أسلوب تحتمل دلالات لغوية متعددة: فهي تدل على السّطر، كما تدل على: المنهج أو الاتجاه ، وتدل على: فنون القول، ، تقول: سلكت أسلوب شخص ما؛ أي مشيت على طريقته، كما له معنى: طريقة المرسِل أو الكاتب في كلامه، باختياره لتراكيب تعبر عن دلالات متنوعة، فلكل كاتب أسلوبه الخاص به، يؤثر على المتلقي ويترك فيه سمات ذاته، يقول ابن منظور (**ابن منظور، 1988، صفحة 473/1**): «يقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأُسْلوبُ، بالضم: الفَنُّ؛ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَساليبَ من القول أَي أَفانِينَ منه؛ وإِنَّ أَنْفَه لفي أُسْلُوبٍ إِذا كان مُتكبِّراً؛ قال: أُنوفُهُمْ، بالفَخْرِ، في أُسْلُوبِ، : يتكبَّرون وهم أَخِسَّاء، كما يقال: أنف في السماء واست في الماء، والجَبوبُ: وجهُ الأَرضِ، ويروى: أُنوفُهُمْ، للفخر، في أُسْلُوبِ أَراد مِنَ الفَخْرِ،

ويَطولُ فيُؤخَذُ ويُمَلُّ، ثم يُشَقَّقُ، فتخرجُ منه مُشاقةٌ بيضاءُ كالليفِ، واحدتُه سَلَبَةٌ، وهو منْ أجود ما يتخذ منه الحبال، وقيل: السَّلَبُ لِيفُ المُقْلِ، وهو يُؤْتى به من مكة، والسَّلَبُ ليفُ المُقْل، وهو أَبيض؛ قال الأَزهري: غَلِطَ الليث فيه؛ وقال أَبو حنيفة: السَّلَبُ نباتٌ ينبتُ أَمثالَ الشَّمَع الذي يُسْتَصْبَحُ به في خِلْقَتِه، إِلاَّ أَنه أَعظمُ وأَطولُ».

2. 1. 2. الأسلوب في اصطلاح اللغويين والبلاغيين العرب:

كل تعريف لغوي له مدلول اصطلاحي يتبين فيه المفهوم العلمي المنتمي لميدان النصية؛ لأنّ مجموع المفاهيم التي يدل عليها هذا المصطلح هي بالضرورة مفاهيم خاصة، والتعريف في جميع العلوم هو تعريف للمفهوم العلمي، أي التصوّر الذي انتهى إليه البحث ولو مؤقّتا بالنّسبة إلى ظاهرة معيّنة، لهذا سنحاول أن نجري المفهوم النصي العلمي الشّامل لهذا المصطلح بمجموع الصفات التي يتميز بها عن غيره بعد صياغة تلك المفاهيم الخاصة.

يقول ابن خلدون (**ابن خلدون ع.، 1988، صفحة 353**) : «ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة، وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنّها عندهم عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يُفرغ فيه»، هذا لأنّ الكلام كبنية يتجسد في أوضاع اللغة وهي صورية، أما في الاستعمال فالكلام يتجسد في لفظ صاحبه وهو ما يشكل صورة الخطاب الخاصة عند كل فرد، وهذا مشابه لما أتت به اللسانيات الحديثة في ثنائيات "دي سوسير"، فالاختلاف في توظيف صورة اللغة في الخطاب بين جميع الأفراد هو ما يوضح الأسلوب، يقول ابن خلدون (**ابن خلدون ع.، 1988، صفحة 353**): «وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصا كما يفعل البناء في القالب أو النسّاج في المنوال»

فابن خلدون يرى أنّ الأسلوب في نظر اللغويين يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية، أي اللغة باعتبار إسقاطها على تركيب معين، أي الكلام، حيث ليس هناك انفصام بين اللغة والأسلوب إذ يتغذى الأسلوب من نتاج اللغة، والأساليب فيما بينها في حال تمازج وتلاقح وتبادل، فهو في جدلية أخذ وعطاء بينه وبين اللغة من ناحية وبين أسلوب كاتب معين أو كتاب معينين من ناحية أخرى، كأن الأسلوب هو الطريقة في التعبير الممثلّة لكل خطاب، وهذا ما عُرف عند اللّغويين القدامى في علم المعاني والبيان.

تعرض علم البيان والمعاني القديم إلى تحليل الخطاب من جهة تعرضه لموضوع: فن القول، لينتقل إثرها لموضوع نقد الشعر، وتجسّد ذلك جليا في محور النقد الأدبي، يقول ابن قتيبة الدينوري في كتابه "الشعر والشعراء" (**ابن قتيبة، 1964، صفحة 22/1**): «والشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع بالنفوس ظمأ إلى المزيد».

يوضح هذا القول مراعاة المقال لحال المقام الذي قيل فيه، فلا يكون فن من فنون القول كغيره في مقامه، فالوعيد ليس كالافتخار، وليس المديح كالرثاء، ولا الهجاء كالغزل، وهذا يقترب بنا إلى مفهوم المقامية وهو أحد معايير المقبولية في علم النص الحديث ـ

وسيأتي بيانه في المبحث الموالي، فالقارئ والناقد يحكم على مدى ملاءمة النص للمقام الذي قيل فيه، والنص أمام سياقين مقاميين:

سياق الإنجاز: حيث يهتم المرسِل أو المخاطِب بمراعاته أثناء صياغته للنص.

سياق التلقي أو التأويل: حيث يهتم المخاطَب بمراعاته حال تلقيه النص، وحال تأويله.

والسياق المقامي يوضّح ما هو معمول وما هو متأوّل في الخطاب **(Halliday & Ruqaya, 1989, p. 46)**: «إننا نستعمل هذا المفهوم لنفسّر لماذا قيلت أشياء معينة أو كتبت في هذه المناسبة أو تلك، ولم لم تقل وتكتب أشياء أخرى كانت متوقعة».

فالأسلوب هو منهج الأديب في انتقاء الألفاظ وتأليف الكلام لإيضاح المعاني لغرض التواصل الفعال، أو التأثير أو الإقناع. فطرح الرسالة من طرف المرسل مرهون بتعيين السياق الداخلي والخارجي، ثم عن علاقة المرسِل بالمتلقي في فهم النص، وهما فكرتان مستقلتان؛ ذلك أن صورة المضمون في النص قد تكون بعيدة عن واقعه الخارجي، إلا أنّها مشتركة بين المشاركين في الخطاب، وحينئذ فإنّ شكل النص يكون مخالفا لشكله في العملية الإقناعية بين مشاركين مختلفين في الرأي.

2.2 الأسلوب في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

تجلّت مباحث عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وما يعنيه النظم هو ما ينتظم عليه الكلام بطرق كثيرة جدا مما يجيزه النحو، لأنّ كل طريقة من الكلام تختص بدلالة خطابية خاصة، ويختار المتكلم إحدى هذه الطرق في الاستعمال ويوضّحه قوله (**الجرجاني ، 1992، صفحة 10**): «تأدية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق أن تكون بعضها أكمل من بعض».

ذلك أن حاصل معنى النص عند المتلقي هو تصور مجمل، أي "معنى واحد" باصطلاح عبد القاهر الجرجاني الذي يركز على هذه الفكرة في العملية الإعلامية التبليغية، يقول (**الجرجاني ، 1992، صفحة 388**): «واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهّمه الناس، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق الذي بين الفعل الذي هو ضرب، وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق»، فلا يقع الاختلاف في مكونات اللغة وعناصرها فهي مشتركة، ولا في المعاني لوحدها، إنما التمايز يحصل في نظم الكلام أي الاستعمال الفردي للغة فهو الأسلوب الذي يميز صاحبه، والأسلوب عند الجرجاني هو بمثابة المكوّن الثالث للنص بعد اللفظ والمعنى، فهناك اللفظ والمعنى والأسلوب هو حسن التآلف بينهما، أي انتظام الكلام في صور بلاغية عالية تجمع بين المعاني والتراكيب، وهذا ما يقرره الجرجاني أيضا في تعريفه للنظم بأنه (**الجرجاني ، 1992، صفحة 425**): "توخي معاني النحو".

3. مبحث الأسلوب في معايير علم النص:

1.3 الأسلوب في علم اللسان الحديث:

لفظ أسلوبstyle مشتق من كلمة (stylus) اللاتينية في الدراسات الغربية، ويعني عموما الانزياح عن القاعدة أو المعيار كما يقول "ليوسبتزر Leo Spitzer" الأسلوب هو: «انحراف أسلوبي فردي عن المعيار العام»، والأسلوب ينمّ عن خاصية مُؤلِّفه وما يحيط به من ظروف حتى قيل كما نقل سبتزر "Spitzer" عن بوفون:"Buffoon": "الأسلوب هو الرجل نفسه "، فيطلق الأسلوب على ما ندر ودق من خصائص الخطاب التي تكشف عن عبقرية الإنسان وبراعته فيما يتلفّظ أو يكتب (**المسدي، الأسلوب والأسلوبية، صفحة 70**).

هذا ويتميز الكلام ـ بمفهومه اللساني ـ بكونه عملا لغويا فرديا يحتكم إلى ما يوفره النظام اللساني من قواعد وقوانين، إلا أنه يُلبس الرسالة المراد تبليغها لبوسا خاصا ينمّ عن فردية المتكلم واختياراته الأدائية والأسلوبية (بالمفهوم الواسع)، التي تكون وليدة مجموعة من الملابسات السياقية والمقامية والتكوينية. ومن هنا كان الكلام مرتبطا أشد الارتباط بالمتكلم، إلى درجة انفصاله عن موضوع علم اللسان. فحين أراد "دي سوسير" أن يخلّص للسانيات العامة موضوعا يتمثل في علم اللسان، أدى ذلك لطرح كل ما هو فردي من عناصر وأشكال تبليغية تواصلية. وكان لابد من انتظار عقود طويلة حتى يجد هذا الكلام الاهتمام اللائق به، وذلك بوضع أسس علم التخاطب المعروف بالتداوليات، والذي يعنى بدراسة الكلام حال الاستعمال، ويرتبط الكلام بمُنجزه وهو المرسِل فيقع في اهتمام علم التخاطب، كما يقع اهتمامه بالمتلقي باعتباره مؤولا للكلام، وباعتباره واقعا في اهتمام المرسِل، وهو ربط من أجل دراسة الكلام أو النص أو الرسالة.

ثم إن الممارسة المستمرة للكلام من قبل المخاطِب تملي عليه جملة اختيارات من عموم ما يقدمه النظام من إمكانات، وتكون هذه الاختيارات إما لازمة مثل الانتقاءات اللهجية في مستوى الصوت والصرف والتركيب، وإما حرة مثل الانتقاءات الأسلوبية (بغض النظر عما يمكن أن يقيد حرية الاختيار الأسلوبي من ملابسات سياقية أو مقامية). ويرتبط هذا الأصل بأمرين:

أولا: ارتباط الأسلوب بالمتكلم، وهنا يتعلق الأمر بالأسلوبيات، خاصة في الاتجاهات التي تربط أسلوب الخطاب بمنجزه: "الأسلوب هو الرجل نفسه". ومن البدهيات المقررة لدى الأسلوبيين أنَّ الأساليب تختلف تبعاً لاختلاف المنشئين، إذ نرى لكل منهم طابعاً خاصاً في تفكيره، وتلفظه، وبنائه التصويري، ولذلك يصح القول إنَّ الأسلوب هو الأديب، أو هو الرجل (**الشايب، 1966، صفحة 121**).

ولأنّ النّص قبل كل شيء منوط بمبدعه، وفحص نسيجه اللغوي يزيل الغموض عن أعماق الذات المبدعة، ويُضيء جوانبها المستترة، ولا جدال في أنّ عبارة الأديب الفرنسي " بوفون ": (الأسلوب هو الرُّجل)، كان لها أثرها بين اللسانيين منذ قيلت في القرن الثامن عشر، وإلى يومنا هذا، وقد شرح الفيلسوف الألماني "شوبنهاور" تلك العبارة بِمعنى: الأسلوب هو ملامح العقل وقسماته الخارجية الظاهرة (**شفيع، 1986، صفحة 164**).

ثانيا: ارتباط الأسلوب بالنص، وهي علاقة يشترك في تناولها ودراستها تخصصان: هما الأسلوبيات ولسانيات النص، انطلاقا من ربط الأسلوب بمفهوم النص، وبناء الأسلوب في الحالتين السابقتين يشير إلى مفهوم الانتقاء، وهو ما انطلق منه الدكتور مازن الوعر في أحد بحوثه حيث يقول (**الوعر، 1994، صفحة 141**): «أما الأسلوب الذي تعنى به هذه الدراسة، فهو الأسلوب الانتقائي الاختياري الذي يختار الفرد فيه ما يناسب الخطاب أولا، والمتلقي ثانيا، والسياق ثالثا، أي أنه الأسلوب المنفتح الذي يقوم به المرسل ليرسل رسالة ما إلى مرسل إليه في مقام معين. هذه العملية الإيصالية والتواصلية تقوم على احتمالات لغوية وغير لغوية، متواضع عليها بين المرسل والمرسل إليه، وهذه العملية ستبرز سمات معينة بارزة تسمى الأسلوب».

2.3 معايير النصية في علم النص:

لسانيات النص علم متعدد الاختصاصات يربط بين فروع مختلفة، يقول فان دايك (**فان دايك، 2001، صفحة 12**): «ومدار الأمر في علم النص أساسا الكشف عن الخصائص المشتركة وسمات الأبنية والوظائف، ومن ثم إنشاء ارتباط بين علوم نظرية وعلوم

اجتماعية»، وكون العملية الاتصالية هي المحك في المجتمع جعل من نظرية التواصل محورا لهذه الدراسات، وكان من أهداف لسانيات النص وضع القارئ أمام نص يشتغل في سياقه الاجتماعي الملموس (**هاينه و فيهفيجر، 1999، صفحة 12**).

وتمحور النّص وتمركزه في العملية التواصـــلية هو الهدف التطبيقي لعلم النص؛ فيظهر ما هو بارز في النص وهو الاتجاه الخطي، أي: درج الكلام على محور التراكيب في طبيعتها الخطية اللســـانية، وتخفى علينا ما يشـــكّل البنية العميقة للنص، فالنص كجبل الجليد الذي لا يبدو لنا إلا سـطحه، ولا ندري ما يخفي تحته، لذا اجتهد علماء اللسـان في بيان أسـس ومعايير النصـية المعبرة عن أعماق النص، لكن انطلاقا من سـطح النص، والمعايير النصـية عموما: منها ما يرتبط بالنص في ذاته وهو الاتسـاق والانسـجام، ومنها ما يرتبط بمستعمل النص (منتج ومتلقي) وهو القصدية والمقبولية، ومنها ما يرتبط بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وهو الإعلامية والمقامية، والتناص، والمعايير الثلاثة الأخيرة يمكن إدراجهما ضمن التحليل خارج النصي (**مصلوح سعد ، 2003، صفحة 223**).

1.2.3. معيار القصدية والتشكل الأسلوبي:

اللغة في نظر اللسانيات المعاصرة هي وسيلة للتأثير والانجاز، وهذا ما دفع باللسانيين للاعتناء بأنشطة المتكلمين، وأهمها مفهوم القصد في الكلام، فالنص في إطار القصدية مقصود من منتجه في تلفظه، وفيما يتضمنه من معلومات، وفيما يراد تحقيقه من أفعال كلامية، فمن جهة المنتج عناصـــر النص متجهة نحو هذا القصـــد، ومن جهة المتلقي الذي يجعل من هذا القصـــد مؤشـــرا لتأويل الأجزاء الغامضـة من النص، ويعرف دي بوجراند القصـدية بقوله (**دي بوجراند ، 1998، صـفحة 103**): «موقف منشـئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خُطة معينة للوصول إلى غاية بعينها».

أحيانا نقرأ النص قراءة خاضـعة متقبلة كقراءة النص الديني مثلا، فنقرأه من غير فرض للانســجام أو توقع بل نؤمن به ونقطع بوجوده، فهذا من الأبعاد التي بنى عليها بعض العباقرة خطاباتهم؛ هذا لأنهم صـــنعوا قرّاء لديهم المقبولية في تلقي هذه الخطابات، يقول شـارول (**chirley carter, p. 25**): «كل شـيء يبدو كما لو أن المتلقي الجاهل يسـتشـعر أنه مدِين بالانسـجام للمرسِـل، ويعترف بأن للمرسِل أسبابه التي تفوق تصورات المتلقي، ويجتهد تحيّدا ليكتشف هذه الأسباب من أجل إعادة بناء تتابع خطابه»، وفي هذا السياق جعل منتجي النصوص السريالية قراءهم في انفصام عجيب بين الانسجام والتمزق حتى صار قراء النص السريالي يرون أن الانسجام المقصود هو التمزق نفسه وخروج النص عن النصية المعروفة منذ القدم مما أوقعها في البعد عن المقبولية عند عامة المتكلمين (**بدوي ، 2000، صفحة 34/2**).

نلاحظ من الكلام المتقدم أن القصدية كمعيار نصي تتشاكل مع المقبولية وتستلزمها لتحقق تأثيرا على المتلقي أو القارئ ومن ثم تسهم في تشكل الأسلوب وبنائه.

2.2.3. معيار المقبولية والتشكل الأسلوبي:

محور الدراسة الأسلوبية قائم على تساؤل ذي بعد تأسيسي مفاده: ما الذي يجعل الخطاب الأدبي مزدوج الوظيفة؛ يؤدي ما يؤديه الكلام عادة وهو إبلاغ الرسالة الدلالية، ويسلّط مع ذلك على المتقبّل(القارئ) تأثيرا ضاغطا به ينفعل للرسالة المبلّغة انفعالا ما؟ (**المسدي، الأسلوب والأسلوبية، صفحة 36**)، وكأنّ أهم خاصية تتجلى في النّص الأدبي من المنظور اللساني النصي هي المقبولية أو

الانفعالية للنص أو تجاه النص، فهو يتضمن: عنصر الجمال الأدبي: فيكشف عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقويم الأدبي له. ولسانيات النص تفسر هذا الانفعال الذي يجسد الأسلوب بِـ: المقبولية.

والمقبولية هي ديناميكية تواصلية يحكم بها القارئ على نصية الخطاب أو النص بموافقته لسياق إنتاجه إذا علم المتلقي أن هذه التشكلات مقصودة لدى المتكلم من أجل اعتبارات تداولية (**أبو غزالة و حمد، 1992، صفحة 177**)، والقارئ الذي يحكم بالمقبولية يسهم في بناء النصية، ويساهم في أداء النص لوظيفته الاجتماعية، والمقبولية أيضا هي غرض من أغراض المرسِل في عملية الإنتاج، لذا هي تُدرس تبعا للقصدية، والمتلقي يحكم على نصه بالمقبولية إذا علم أنّ ما يظهر له من مظاهر النصية مقصود للمُرسِل ليحقق مقاصد تداولية معينة.

والإقرار بالمقبولية يعود إلى ما يسلطه المتلقي من معلومات ومعارف على الخطاب، وإلى قيمة علمه بلغة هذا الخطاب، وما يستلزمه من أجناس نصية، ثمّ معرفته بالموضوع ومقدار ملاءمته للسياق المقامي المنجز فيه، والمقبولية لا تقتضي دائما الموافقة، فوضع الخطاب أو النص موضع النقد يعتبر قبولا لنصيته، واستعداد القارئ لخوض معركة النقد دليل على اعترافه بأنّ هذا النص يتضمّن قصدا ويسعى لتمرير فكرة معيّنة، وهو نوع من الانفعال للرسالة النصية **يجعل من المقبولية خاصية مميزة لعنصر الأسلوب الذي يميّز المُرسِل في رسالته.**

3.2.3. معيار الإعلامية والتشكّل الأسلوبي:

في هذا المطلب سنشير إلى بعض القضايا التي ترتبط بمعيار الإعلامية، كالإعلام والمقام، والأسلوب الإعلامي، وكل منها له نصيب في بناء الإعلامية ومن ثمة في تحقيق التشكل الأسلوبي للخطاب:

1.3.2.3. الإعلام والمقام:

مصدر الفعل المزيد بالهمزة أعلمَ، بمعنى الإبلاغ والاطّلاع والمعرفة، جاء في لسان العرب (**ابن منظور، 1988، صفحة 371/9**): «استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلَمَني الخبر فأعلمته إياه»، فهو حصول العلم والفائدة للمتلقي، وهذه الإفادة لا تتحقق إلا في الاستعمال، ولا خطاب ولا تخاطب إلا بفائدة فهي الوظيفة الأساسية للكلام، فالجانب الإعلامي يقابل الجانب الدلالي في التخاطب أي كل ما يخص الدلالة على المعنى.

الإعلام عند أهل اللغة هو أفعال المتكلم والمخاطب في التخاطب، فإذا تكلم المتكلم فأفعاله استعمال منه لألفاظ اللغة وعمل بحدودها النحوية لإعلام المخاطب عن شيء بإطلاق اللفظ وإرادة المعنى، والمخاطب يحاول أن يفهم ما أراد المتكلم من كلامه الموجه إليه فيحمل كلامه على ما فهمه وتأوّله، فيمكن أن نقول: الإعلام معرفة متداوَلة بين المتكلم والمخاطب.

والدلائل الخارجة عن كلام المتكلّم وهي كل دلالة لا تكون باللفظ وهي القرائن، وهي من أهم العناصر التي تقوم عليها عملية التخاطب ويتشكّل بها الأسلوب، يقول ابن جني (**ابن جني ، 1954، صفحة 255/1**): «وقد يصلون إلى إبانة أغراضهم بما يصحبون الكلام مما يتقدّم قبله ويتأخّر بعده ومما تدل عليه الحال»، وهو الحال المشاهدة والمقام الذي يذكر الجاحظ أنه حال الخطاب التي تعتبر فيها منزلة المخاطب في المجتمع، يقول الجاحظ (**الجاحظ، 1998، صفحة 138/1**): «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار المستمعين و أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ولكل مقام مقال».

فالمقام يتداخل بقوة مع عنصر الإعلامية؛ لأنّ الدلالات تشترك في بيان مقصود الكلام، وذلك من دلالة الحال وتقدم الذكر وعلم المخاطب، كما يتبين من قول الجاحظ السابق، فهي تشكّل كلّها شبكة من القنوات الدلالية تتداخل في الوقت نفسه ، وتقترن بعضها ببعض لتبليغ المقصود للمخاطَب، فتلزم المرسِل كرد فعل تجاهها على اختيار الأسلوب المناسب لها ، والمفهوم اللغوي للإعلام يوحي بمفهوم الأسلوب فبينهما قناة مشتركة لذا يُعبّر مجازا عن الإعلام أنّه الأسلوب؛ لأنّ لكل مؤسسة أو وسيلة أو مُرسِل أسلوب يعبّر عنه ويصير واجهة له، وهذا ما يقابله في قول اللسانيين: الأسلوب هو الرجل.

2.3.2.3. الأسلوب الإعلامي:

وأما إذا تناول الباحث نصا محللا عناصره، مفسّرا العلاقات الرابطة بينها ونتائج تشكّلها على هيئة مخصوصة، في إطار منظومة معرفية معينة(علم الإعلام، تحليل الخطاب، ..إلخ)، فإنّ حاصل بحثه هو بيان مفصّل للمعنى المجمل الذي يفهمه المتلقي، أو هو الذي نسميه المعنى المفصل(كيف نفسر الخطاب في نظر هذه المنظومة المعرفية) أي كيف النظر في المراجع والإحالات الاجتماعية والثقافية الواسعة، التي يبنى عليها المعنى الإعلامي، فالمعنى المجمل ناتج عن ظاهر اللفظ أما المعنى المفصل فهو الناتج عن معطيات التخاطب وهو الذي يسمى المعنى الإعلامي أو الأسلوب الإعلامي.

ثم إنّ قولنا بهذه الثنائية لا يعني أنّ المتلقي في دورة الخطاب لا يعي المعنى المفصل، بل إنّ هذا الإدراك ضرورة منه للوصول إلى المعنى المجمل أي إلى فهم الخطاب، لأنّ الخطاب ذو طبيعة خطية يتلقاه السامع تدريجيا، ويبني فهمه له بطريقة تراكمية، إلا أن هذه العملية التفصيلية لبناء المعنى تجري في إدراكه المغيّب.

كما يعني الأسلوب الإعلامي اقتدار البعض على صياغة الكلام الإقناعي الذي ينبغي أن يعترف له من يقرأه أو يسمعه على أنّه حديث إقناعي فعلاً (**الخزرجي، 1984**)، الغرض منه التأثير والتأثّر أو نقل فكرة ما أو تغير اتجاه أو دفع القارئ إلى موضوع معين، هنا يظهر الأسلوب الإعلامي من خلال بروز الإعلامية في الخطاب.

3.3.2.3. الإعلامية:

يراد بمعيار الإعلامية مدى ما يجده مستقبل النص في عرضه من جدة وعدم توقّع (**أبو غزالة و حمد، 1992، صفحة 184**)، ويرتبط التوقّع بتتبع القارئ للقضايا المكوّنة للمتتالية النصية، الإعلامية متحققة في النص من حيث التنوّع والمفاجآت التي لها ارتباط بذهنية القارئ واستمالته وفقا لنظرية (إمكانية أفق التلقي في أفق الانتظار) (**ناظم عودة، 1997، صفحة 139**).

والقوة الإعلامية لنص ما مرتبطة بالمتلقي وإرادة الإخبار عند المرسِل، فهي بين إرادة المرسِل وتطلعات القارئ، فهي قريبة من إحدى المفاهيم المقترحة للأسلوب، وهو مفهوم الانزياح القائل إن خاصية الأسلوب تبدأ حين تقل نسبة توقع الشكل اللغوي الذي يعتمده المتكلم في صياغة الفكرة، فالإعلامية لا ترتبط بكم المعلومات الممرَّرة فقط بل بما يقدمه مُنتج النص عن نفسه من خلال اختياراته اللّغوية، ويصنّف (دي بوجراند) احتمالات الوقائع الإعلامية إلى ثلاث مستويات:

– **مستويات عليا:** ارتفاع احتمال التوقّع إلى درجة كبيرة مما يجعل المعلومة مبتذلة غير ذات قيمة على المستوى الإعلامي.

– **مستويات دنيا:** حين تنخفض نسبة التوقع مع بقائها في درجة الإمكان نرتفع إلى نسبة إعلامية من الدرجة الثانية.

– **مستويات خارج التصنيف:** حين تنخفض نسبة التوقّع إلى مستويات دنيا تكون الإعلامية في أقصى درجاتها، حيث تعتبر المعلومة المضافة لا تدخل في علاقة اقتضائية أولية مع القضايا السابقة في النص.

فالتورية كمثال تضع قراءتين مختلفتين على محك الكفاءة الإعلامية حيث إنّ المورّى به يُعد ذا كفاءة إعلامية من الدرجة الأولى، في حين أنّ المورّى نفسه يكتسب كفاءته من عدم خطوره بالبال عند القراءة الأوّلية، ثم عند قفزة إلى وعي القارئ عند تحديد القراءة، فالتورية أسلوب يُقرأ مرتين: مرة بالاستناد إلى المعنى المؤسس والتوقعات المبنية من خلال تتالي عناصر النص، وقراءة ثانية عند شعور المتلقي بانخفاض الكفاءة الإعلامية، وفي أسلوب التورية حين تنخفض الكفاءة الإعلامية يعطي الكاتب قارئه علامة (فافطن، فاعلم، فانتبه...) تردّه إلى تكرار القراءة مرة أخرى، فترتفع الكفاءة الإعلامية حيث يعي المتلقي أن الكاتب لا يقصد ما بدى له في الأوّل إنما يقصد شيئا آخر.

وفي كل الحالات السابقة يتبيّن أن الإعلام والمقام والأسلوب الإعلامي ترتبط بمعيار الإعلامية وهي عناصر متصلة بعملية التأثير الذي انبنى عليه الأسلوب فجعلت من الإعلامية عنصرا بارزا في التشكل الأسلوبي.

خاتمة:

الأسلوب يرتبط بالمتكلم أو الكلام، وهو ما سعت لسانيات النص لبحثه، وكون اللغة في نظر علم اللسان المعاصر وسيلة للتأثير والانجاز، وهذا التأثير يظهر في المعايير التي اقترحها علم اللسان فكان لها بعدا جديدا في تفسير الأسلوب، وتبين ذلك في اعتناء لسانيات النص بأنشطة المتكلمين من خلال معيار القصدية، والقصد يتحقق في الملاءمة بين المقال والمقام كما عند البلاغيين العرب، كما يتحقق بحسن التآلف بين اللفظ والمعنى كما عند عبد القاهر الجرجاني، كذلك معيار المقبولية يسهم في توضيح التشكل الأسلوبي من خلال تقبل المتلقي للنص وانفعاله للرسالة وتأثيرها فيه، وقد تتدخل القصدية والإعلامية والمقامية بإلزامها المتكلم على اختيار أسلوب مناسب لمقام معين. وكل هذا يجعل من معايير علم النص تشكل متوالية تسهم في التشكّل الأسلوبي للخطاب.

إنّ الغاية التي سعى إليها هذا البحث هي محاولة الربط بين معايير علم النص وبناء الأسلوب في علم الأسلوب، فيمكن أن نقترح هذا البحث مجالا للبحث العلمي لأصحاب الدراسات العليا في التخصص، كما يمكن أن يكون تشجيعا للباحثين عموما في فروع علوم اللغة والعلوم الاجتماعية والإنسانية على استكشاف ميادينهم من منطلق النظر في حدود التماس بين المعارف؛ لأنّها فكرة قد تسمح باكتشاف الجديد.

المصادر والمراجع:

قائمة المراجع:

السيد شفيع. (1986). الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي. القاهرة: دار الفكر العربي.

إلهام أبو غزالة، و علي خليل حمد. (1992). مدخل إلى علم لغة النص. لبنان: مركز نابلس للكمبيوتر.

chirley carter, t. (s.d.). texte et contexte pour une approche fonctionnelle et ampirique. Paris: Sorbonne nouvelle.

Halliday, & Ruqaya, H. (1989). Language, context, and text: aspects of language in a social- semiotic perspective. Oxford: . M.A.K. Oxford university press.

أبو الفتح ابن جني . (1954). المنصف شرح كتاب التصريف (المجلد 1). (مصطفى إبراهيم ، و أمين وعبد الله ، المحررون) القاهرة: دار إحياء التراث القديم.

أبو عثمان الجاحظ. (1998). البيان والتبيين (المجلد 7). (هارون عبد السلام، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو محمد ابن قتيبة. (1964). الشعر والشعراء، (المجلد 3). بيروت: دار الثقافة.

أحمد الشايب. (1966). دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (المجلد 6). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

تون فان دايك. (2001). علم النص مدخل متعدد الاختصاصات (المجلد 1). (سعيد حسن بحيري، المترجمون) القاهرة: دار القاهرة للكتاب.

جمال الدين ابن منظور. (1988). لسان العرب (المجلد ط1). (تنسيق وتعليق: علي شيري، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

خضر ناظم عودة. (1997). الأصول المعرفية لنظرية التلقي (المجلد 1). عمان: دار الشروق.

روبرت دي بوجراند . (1998). النص والخطاب والإجراء (المجلد 1). (حسان تمام ، المترجمون) القاهرة: عالم الكتب.

عبد الإله الخزرجي. (1984). تحليل لغة الدعاية (المجلد 1). بغداد،: مطبعة التوجية السياسي.

عبد الرحمان ابن خلدون. (1984). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار القلم.

عبد الرحمن ابن خلدون. (1988). المقدمة، (المجلد دط). (حجر عاصي، المحرر) بيروت: دار الهلال.

عبد الرحمن بدوي . (2000). سيرة حياتي (المجلد 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبد السلام المسدي. (بلا تاريخ). الأسلوب والأسلوبية. تونس.

عبد السلام المسدي. (بلا تاريخ). الأسلوب والأسلوبية (المجلد 3). طرابلس: الدار العربية للكتاب.

عبد العزيز مصلوح سعد . (2003). في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية. الكويت: مجلس النشر العلمي.

عبد القاهر الجرجاني . (1992). دلائل الإعجاز (المجلد 3). (محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: مطبعة المدني.

مازن الوعر. (1994). الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية. مجلة عالم الفكر، 22(3-4).

هاينه، و فيهفيجر. (1999). مدخل إلى علم اللغة النصي. (فالح بن شبيب العجمي، المترجمون) الرياض: جامعة الملك سعود.

Bibliography List

-Mr. Shafie. (1986). Stylistic Trend in Literary Criticism. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi

-Elham Abu Ghazaleh and Ali Khalil Hamad. (1992). Introduction to Textual Linguistics. Lebanon: Nablus Computer Center.

-Chirley Carter, T. (n.d.). text and context for a functional and ampiric approach. Paris: Sorbonne nouvelle.

-Halliday, & Ruqaya, H. (1989). *Language, context, and text: aspects of language in a social-semiotic perspective.* Oxford: . M.A.K. Oxford university press.

-Abu al-Fath Ibn Jinni. (1954). Al-Monsef Explanation of the Book of Discharge (Volume 1). (Mustafa Ibrahim, Amin and Abdullah, eds.) Cairo: House of Revival of Ancient Heritage.

-Abu Othman Al-Jahiz. (1998). Statement and Clarification (vol. 7). (Haroun Abdel Salam, ed.) Cairo: Al-Khanji Library.

-Abu Muhammad Ibn Qutayba. (1964). Poetry and Poets, (vol. 3). Beirut: House of Culture.

-Ahmed Al-Shayeb. (1966). An Analytical Rhetorical Study of the Origins of Literary Styles (Vol. 6). Cairo: Egyptian Renaissance Library.
-Toon Van. (2001). Textology: An Interdisciplinary Approach (Vol. 1). (Said Hassan Beheiry, Translators) Cairo: Cairo Book House.
-Jamal Aldin Ibn Manzur. (1988). Lisan Al Arab (Vol. 1st Edition). (Curated and commented by: Ali Shiri, ed.) Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
-Khidr Nazim Odeh. (1997). The Cognitive Origins of Reception Theory (Vol. 1). Amman: Dar Al Shorouk.
-Robert de Beaugrand . (1998). Text, Discourse and Action (Vol. 1). (Hassan Tammam, Translators) Cairo: World of Books.
-Abdul Ilah Al-Khazraji. (1984). Analysis of the language of propaganda (vol. 1). Baghdad: Political Guidance Press.
-Abd al-Rahman Ibn Khaldun. (1984). History of Ibn Khaldun. Beirut: Dar Al Qalam.
-Abd al-Rahman Ibn Khaldun. (1988). Introduction, (vol. D). (Hajar Assi, ed.) Beirut: Dar al-Hilal.
-Abdul Rahman Badawi . (2000). My Biography (Volume 1). Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing-.
-Abdul Salam Al-Masdi. (undated). Style and stylistics (Volume 3). Tripoli: Arab Book House.
-Abdul Aziz Maslouh Saad . (2003). In Arabic rhetoric and linguistic stylistics. Kuwait: Scientific Publishing Council.
-Abdul Qaher Al-Jurjani. (1992). Evidence of Miracles (vol. 3). (Mahmoud Mohamed Shaker, ed.) Cairo: Al-Madani Press.
-Mazen Al-Waer. (1994). Contemporary linguistic trends and their role in stylistic studies. Alam Al-Fikr Magazine, 22.(4-3)
-Heine, and Viehfiger. (1999). Introduction to textual linguistics. (Faleh bin Shabib Al-Ajmi, Translators) Riyadh : King Saud University.